دافيد مير جاليرا

باحث في العلاقات الدولية، والقانون – إسبانيا

منظور مختلف:

سيادة البرجماتية في العلاقات بين الأمريكيتين

سعت الولايات المتحدة للهيمنة على شؤون أمريكا اللاتينية باعتبارها الفناء الخلفي لها، غير أن مسعاها هذا قد واجه تحديات كبيرة في مطلع الألفية الثالثة مع تولي زعماء مناوئين للولايات المتحدة الحكم في بعض دول أمريكا اللاتينية، غير أن قمة بنما تؤشر إلى فصل جديد في العلاقات بين الدولتين يقوم على البرجماتية وتعزيز التفاعلات التعاونية.

وتسعى هذه المقالة لدراسة هذا التحول في العلاقة من خلال الإشارة إلى السياسة الأمريكية تجاه دول أمريكا اللاتينية، ثم بيان الأسباب التي أدت لهذا التحول في العلاقة بين الطرفين، والعقبات التي لاتزال تواجهها، وأخيراً الآفاق المستقبلية لها.

أولاً: هيمنة أمريكية على شؤون أمريكا اللاتينية

تتدخل الولايات المتحدة دوماً للتأثير على التطورات السياسية في دول أمريكا اللاتينية، بما يخدم مصالحها، فخلال القرن التاسع عشر، أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية "مبدأ مونرو"، وذلك في عام 1823، والذي يرى أن أي مسعى من جانب الدول الأوروبية لاحتلال أراض في الأمريكيتين أو التدخل في شؤونهما، سوف يعد عملاً من أعمال العدوان يستوجب الرد الأمريكي[1]، وقد تحقق هذا المبدأ بصورة كاملة في عام 1898 مع اندلاع الحرب الأمريكية – الإسبانية، وما ترتب عليها من طرد إسبانيا من كوبا.

ومع بداية الحرب الباردة، دعمت الولايات المتحدة العديد من الانقلابات العسكرية في دول أمريكا اللاتينية لضمان وجود حكومات موالية لها هناك، مثل دعم الانقلاب العسكري في كل من: تشيلي (1973) والأرجنتين (1976)، وبنما (1968 و1986)، وبوليفيا (1971)، والسلفادور (1979)، والبرازيل (1964).

وقد أدى التدخل الأمريكي هذا إلى إثارة غضب التيار اليساري بدول أمريكا اللاتينية، والذي ناصب الولايات المتحدة العداء نتيجة لدعمها للديكتاتوريات العسكرية، وخلال العقد الأول من الألفية الثالثة، اعتلى بعض القادة المناهضين لسياسات واشنطن سُدة الحكم[2]، مثل هوجو شافيز في فنزويلا (1998) ولولا دا سيلفا في البرازيل (2002) ونستور كيرشنر في الأرجنتين (2003) وإيفو موراليس في بوليفيا (2006) وأولانتا هومالا في بيرو (2011)، إذ وقفوا جميعاً ضد ما أسموه "سياسات واشنطن الإمبريالية".

وقد ترتب على ما سبق انقسام أمريكا اللاتينية إلى كتلتين، إحداهما موالية للولايات المتحدة والأخرى مناوئة لها، غير أن مؤتمر قمة الأمريكيتين، الذي عقد في بنما في أوائل عام 2015، كان بمنزلة نقطة تحول في العلاقات بين الأمريكيتين، الشمالية والجنوبية، حيث صرح باراك أوباما – الرئيس الأمريكي – بأنه سيكون بداية عهد جديد يقوم على البرجماتية وليس على الأيدولوجية، وهو ما وضح من عودة العلاقات الكوبية – الأمريكية، وحضور كوبا قمة الأمريكيتين بعد سنوات طويلة من الغياب[3].

ثانياً: أسباب البرجماتية الجديدة

يمكن إرجاع تحسن العلاقات الدبلوماسية بين الولايات

المتحدة والدول المناوئة لها في أمريكا اللاتينية إلى عدد من العوامل أهمها، الأزمة الاقتصادية التي تمر بها دول أمريكا اللاتينية، وتغير بعض القادة والزعماء، بالإضافة إلى وجود قضايا مشتركة تستوجب التعاون لعلاجها، وذلك على النحو التالي:

1- الأزمة الاقتصادية

شهد عام 2014 ركوداً اقتصادياً في أغلب دول أمريكا الجنوبية، فقد وصل معدل النمو الاقتصادي في هذه الدول إلى حوالي 0.8%، كما يتوقع امتداد الركود الاقتصادي لعام 2015 وفقاً لتقرير البنك الدولي الصادر في العام نفسه[4]، ويرجع هذا الركود إلى هبوط أسعار النفط بحوالي النصف، وكذلك تراجع أسعار المواد الخام، فضلاً عن الركود الاقتصادي للشركاء التجاريين لدول أمريكا اللاتينية، وزيادة التضخم، وقد كانت الأرجنتين والبرازيل وفنزويلا أكثر الدول تأثراً بالركود الاقتصادي.

وفي مقابل ذلك، بلغ معدل النمو الاقتصادي لأمريكا الوسطى ومنطقة الكاريبي حوالي 2.4%، نتيجة لتحسن الاقتصاد الأمريكي، وارتباط تلك الاقتصادات به، ويُظهر هذا التباين بين أمريكا الجنوبية من جانب، وأمريكا الوسطى والكاريبي من جانب آخر، مدى أهمية دور الولايات المتحدة في إنعاش اقتصادات المجموعة الأخيرة من الدول.

2- تغير القادة

كانت هناك أيضاً عدة عوامل سياسية قادت لهذا التقارب بين الأمريكيتين، يأتي على رأسها تغير القادة والرؤساء في العديد من دول المنطقة خلال الأعوام السابقة، ففي كوبا، تقاعد فيديل كاسترو – أيقونة الثورة – وتولى شقيقه الإصلاحي راؤول كاسترو السلطة، وفي فنزويلا، توفي هوجو شافيز– الرئيس الفنزويلي السابق – وانشغل نيكولاس مادورو – الرئيس الجديد – بالأزمات السياسية والاقتصادية الداخلية، ما انعكس سلباً على النفوذ الإقليمي الذي تمتعت به الدولة أثناء حكم شافيز.

أما في البرازيل، فلم تستطع ديلما روسيف – رئيسة البرازيل الحالية – الحفاظ على الإنجازات التي حققها لولا دا سيلفا – الرئيس البرازيلي السابق – وأخيراً فإن الأرجنتين قد تشهد نهاية عهد كريستينا فرنانديز كيرشنر – الرئيسة الحالية – إذا ما تم سحب الثقة منها بسبب اتهامها بالتورط في التغطية على إيرانيين اتهموا بتفجير معبد يهودي في بيونس آيريس في عام 1994.

وعلى الجانب الآخر، شهدت الولايات المتحدة الأمريكية تغيراً أيضاً مع تولي إدارة أوباما الحكم، والتي اتبعت سياسة برجماتية، على عكس الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن، الذي غلّب العوامل الأيديولوجية في علاقاته الخارجية.

وقد أدى وصول قادة جدد لسدة الحكم في مختلف دول أمريكا اللاتينية إلى تغير توجهاتها الخارجية، فلا يملك أيّ من راؤول كاسترو أو ديلما روسيف أو نيكولاس مادورو الكاريزما التي كان يتمتع بها سلفه، وبالإضافة إلى ذلك، فإن معظمهم أقل تعصباً من الناحية الأيدولوجية وأكثر برجماتية، لاسيما أوباما وراؤول كاسترو.

3- المصالح المشتركة

تكشف مطالعة أجندة المؤتمر عن تركيز الدول المشاركة على المصالح المشتركة[5]، خاصة أن باراك أوباما أكثر ميلاً للتعاون، ووضع على الأجندة القضايا التي تهم دول المنطقة كافة مثل:

أ- تحقيق المساواة وتحفيز النمو الاقتصادي، خاصة أن دول أمريكا اللاتينية تعد واحدة من أكثر مناطق العالم التي تعاني من عدم المساواة، بالإضافة إلى عدم تنوع اقتصادها واعتمادها على اقتصادات الدول المتقدمة.

ب- الطاقة المتجددة وأمن الطاقة: فقد تعهدت الولايات المتحدة بدعم صندوق المناخ الأخضر (Green Climate Fund)، بحوالي 3 مليارات دولار لمكافحة التغير المناخي[6].

> وعلى الرغم من المنافع المتبادلة التي يحتملها التعاون بين الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية، فإنه لا يخلو من تداعيات سلبية على الأخيرة، ففي الوقت الذي تمتلك فيه الولايات المتحدة الأمريكية ما يكفي من السلطة والنفوذ لتحقيق مصالحها، لا تمتلك دول أمريكا اللاتينية، إلا قدرات محدودة للغاية، قد لا تمكنها من فرض رؤيتها أو الدفاع عن مصالحها.

ثالثاً: هل يمكن أن تصبح علاقة مربحة لكل الأطراف؟

أظهر مؤتمر قمة بنما تغير سعي الدول المشاركة فيه إلى إبرام "اتفاق مربح لجميع الأطراف"[7] يقوم، في جانب منه، على مواجهة التهديدات، والتعاون في بعض القضايا، مثل الاتجار بالمخدرات[8]، وعدم المساواة الاجتماعية، وتغير المناخ والتنمية الاقتصادية.

ففيما يتعلق بمكافحة المخدرات، فإن الولايات المتحدة تُعد أكبر مستهلك للمخدرات في العالم، بينما تضم أمريكا اللاتينية أهم المنتجين كالمكسيك وكولومبيا، ولذا تبرز أهمية التعاون بين الطرفين، خاصة أن مافيا المخدرات أصبحت "منظمات عابرة للحدود الوطنية".

وعلى الرغم من ضرورة التنسيق بين الدول للقضاء على هذه العصابات، فإن التعاون كان غائباً في حالات كثيرة بسبب الخلافات السياسية، ومع التحسن المتوقع في العلاقات، فإنه من المتوقع أن يتم التعاون بصورة أكثر فاعلية في مجال مكافحة المخدرات.

من ناحية أخرى، يعد السبب المباشر وراء تنامي تجارة المخدرات هو الحرمان الاجتماعي وتراجع التنمية الاقتصادية[9]، وفي هذا الإطار، أدركت دول أمريكا اللاتينية ذلك، فبذلت محاولات من أجل إيجاد فرص عمل جديدة

وتشجيع التنمية الاقتصادية والتبادل التجاري بين دول المنطقة، وقد وضح ذلك جلياً من خلال المنظمات الاقتصادية الإقليمية المختلفة[10]، فضلاً عن إبرام بعض الاتفاقات الثنائية لتعزيز التبادل التجاري، ومع ذلك واجهت هذه الجهود صعوبات في تعزيز عملية التنمية.

وفي مقابل ذلك، فإن أكبر معدل نمو اقتصادي شهدته المكسيك وبلدان منطقة الكاريبي أظهر مدى أهمية الاقتصاد الأمريكي باعتباره المحرك الأساسي لاقتصادات تلك المنطقة، وهو الأمر الذي أوضح أن تعزيز النمو الاقتصادي وتحقيق العدالة الاجتماعية لدول الإقليم لا يتطلب التعاون بين دول الجنوب فحسب، بل يلزم التعاون بين الشمال والجنوب[11].

وعلى الرغم من المنافع المتبادلة التي يحتملها التعاون بين الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية، فإنه لا يخلو من تداعيات سلبية على الأخيرة، ففي الوقت الذي تمتلك فيه الولايات المتحدة الأمريكية ما يكفي من السلطة والنفوذ لتحقيق مصالحها، لا تمتلك دول أمريكا اللاتينية، إلا قدرات محدودة للغاية، قد لا تمكنها من فرض رؤيتها أو الدفاع عن مصالحها.

ولعل خير مثال على هذا، اتفاقية التجارة الحرة لشمال أمريكا (NAFTA) لعام 1994، بين كل من كندا والولايات المتحدة والمكسيك، والتي كانت لها عواقب سلبية على القطاع الزراعي في المكسيك[12]، فمع تحرير التجارة، تقلصت مساحة الأراضي الزراعية بشكل كبير، وزاد الفقر بين المزارعين، وزادت قوة عصابات المخدرات في الريف.

رابعاً: مستقبل العلاقة بين الأمريكيتين

على الرغم من أن قمة بنما بدت نقطة فاصلة في تطور العلاقات بين دول الأمريكيتين، إلا أنه من السابق لأوانه الحديث عن عهد جديد، ويعود ذلك إلى سببين، أولهما: أن العديد من حكومات أمريكا اللاتينية لا تثق بصورة كاملة في واشنطن بعد، خاصة أن ذلك يتزامن مع ظهور بعض التوترات بين واشنطن وبعض دول أمريكا اللاتينية، مثل فنزويلا، خاصة بعد إصدار أوباما في التاسع من مارس قراراً بإعلان فنزويلا مصدر تهديد للأمن القومي الأمريكي[13]، كما أنه من ناحية أخرى نجد أن راؤول كاسترو، والذي قد مد يد الصداقة بين الشعب الكوبي والأمريكي في مبادرته، إلا أنه أشار إلى أهمية الأيدولوجية، وإلى نيته الاستمرار في الدفاع عن النموذج الاشتراكي.

وثانيهما أنه داخل كل دولة توجد جماعات ضغط لديها مصالحها السياسية والاقتصادية الخاصة[14]، والتي تتعارض مع أي انفتاح على الولايات المتحدة، لذا سيتعين على حكومات أمريكا اللاتينية التعامل مع تلك التوجهات بحرص، ولذا يمكن القول ختاماً إن قمة بنما أشارت إلى بداية توجه جديد في العلاقة بين الجانبين، ولكنه لايزال في مراحله الأولى، التي تركز على الحوار حول التعاون وتحقيق التنمية الاقتصادية[15]، وبالتالي فهو تطور يحتاج للبناء عليه، حتى نستطيع القول إن هذه العلاقات دخلت مرحلة جديدة تنهي الخلافات التي كانت قائمة بين أمريكا والدول المناوئة لها في أمريكا اللاتينية.

1- President James Monroe “Transcript of Monroe Doctrine”, **100 Milestones Documents**, December 2, 1823, accessible at: http://goo.gl/scmZQJ

2- Janette Gresh, “El poder de la izquierda latinoamericana a prueba”, **Atlas de le Monde Diplomatique**: **Nuevas Potencias Emergentes**, September 2012, pp. 186 – 189.

3- Natalia Saltalamacchia, “The Panama Summit and the Withering Inter-American Ideal,” **Council of foreign relations**, March 19, 2015, http://goo.gl/PgVu4W

4- World Bank, “Chapter 2: Regional Outlooks: Latin American & the Caribbean”, **Global Economic Prospects**: Having Fiscal space and using it, January 2015, pp. 69 – 74.

5- Barack Obama, “Remarks by the President at Opening of the CEO Summit of the Americas”, **The White House: Office of the press Secretary**, April 10, 2015, accessible at: https://goo.gl/RF9nEQ

6- Barack Obama, “Comentarios del Presidente Barack Obama en la conferencia de Prensa después de la Cumbre de las Americas”, VII Cumbre de las Américas, April 11, 2015, accessible at: http://goo.gl/JVeZec

7- Olivier Ramsbotham (et al.), Resolución de conflictos: La prevención, gestión y transformación de conflictos letales, “Chapter 1: Introducción a la resolución de conflictos: conceptos y definiciones”, (ICIP, 2011), pp. 59-61

8- Juan Gabriel Tokatlian, “América Latina: Una década muy particular”, Dossier la Vanguardia: 11S. **El mundo 10 años después**, nº 41 (October/December 2011) pp. 84 – 87.

9- Bernardo Kliksberg, “Artículo Invitado. El crecimiento de la criminalidad en América Latina: un tema urgente” **Multiciencias**. Vol. 2, Nº 2, October 2002, pp. 85 – 91.

10- Miles Kalher and Andrew MacIntyre, **Asian comparative context**, “Chapter 5: Regional Economic Institution in Latin American, Politics, Profits and Peace” (Stanford University Press, 2013), pp. 107 – 141.

11- Piera Tortora, “Common Ground between South-South and North-South co-operation principles”, **OECD: Development Co-operation Directorate, Issue brief,** October, 2011, accessible at: http://www.oecd.org/dac/stats/49245423.pdf

12- Jackie Sieppert and William S. Rowe, “In the Wake of NAFTA: Economic and Social Outcomes of Free Trade”, **Revista Perspectivas Sociales**, Vol 9, Nº2, October 2007, pp. 14 – 17.

13- The White House, “FACT SHEET: Venezuela Executive Order”, **The White House: Office of the press Secretary**, March 9, 2015, accessible at: https://goo.gl/LSgXAC

14- Graham Allison, **Essence of decision: explaining the Cuban Missile Crisis**, (EU: Harper Collins Publishers, 1971), pp. 143 – 196.

15- Danielle Renwick “Interview to Shannon K O’Neil: Hitting the Restart on U.S.-Latin America Ties” **Council of foreign relations,** April 8, 2015, accessible at: http://www.cfr.org/global-governance/hitting-restart-us-latin-america-ties/p36412